



قراءة
الإمام
وفي القراءة متعة

د . حمزة بن فايع إبراهيم عسيري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قرأ الإمام

قرأ الإمامُ وفي القراءة متعةً ** وهدايةً لمباهجِ وأمانِ
فيه ارتقيتُ إلى المعارف والنهي ** ورشفتُ من ينبوعه الروحاني
قرانُ ربِّي والكتابُ جواهرٌ ** ونفائسُ للروح والوجدانِ
فيه يسودُ المرءُ بعد سيادةٍ ** ويعزُّ من ذلٍّ ومن حرمانِ
يا كم غفلنا في الحياة وحولنا ** أنباءً مجدٍ قد سرتِ وسانِ

(إن هذه القلوب أوعية ؛ فاشغلوها بالقرآن ، ولا تشغلوها

بغيره). ابن مسعود رضي الله عنه .

قيل : ما الأنس بالله؟ « قال : « العلمُ والقرآنُ » - ذو النون

المصري رحمه الله .

قرأ الإمام

« تفقدوا الحلاوة في ثلاث: في الصلاة، وفي القرآن، وفي الذكر؛

فإن وجدتموها، فامضوا و ابشروا، فإن لم تجدوها، فاعلم أن

بابك مغلق» - الحسن البصري رحمه الله ..

الفهرس

- الفهرس..... ١
- المدخل..... ٣
- ١/ ألا بذكر الله تطمئن القلوب..!..... ٩
- ٢/ فنادى في الظلمات..!..... ١٢
- ٣/ اهدنا الصراط المستقيم..!..... ١٥
- ٤/ في قلوبهم مرض..!..... ١٨
- ٥/ وسارعوا الى مغفرة من ربكم..!..... ٢٢
- ٦/ إن بطش ربك لشديد..!..... ٢٥
- ٧/ حتى يحكموك فيما شجر بينهم..... ٢٨
- ٨/ فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليه..!..... ٣٠
- ٩/ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر..!..... ٣٣
- ١٠/ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون..!..... ٣٦
- ١١/ من بعد أن نزع الشيطان بيبي..!..... ٣٩
- ١٢/ إنما يأكلون في بطونهم نارا..!..... ٤٢
- ١٣/ فتزى المجرمين مشفقين..!..... ٤٤
- ١٤/ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى..!..... ٤٧
- ١٥- يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات..!..... ٤٩
- ١٦/ يريدون أن يُطفئوا نور الله بأفواههم..!..... ٥١
- ١٧/ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون..!..... ٥٣
- ١٨/ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا..!..... ٥٦
- ١٩/ وكل في فلک يسبحون..!..... ٥٩

- ٢٠ / فقولا له قولاً ليلاً...! ٦٢
- ٢١ / يَوَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا..... ٦٥
- ٢٢ / قالت يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم...!..... ٦٨
- ٢٣ / أن امشوا واصبروا على آلهتكم...!..... ٧١
- ٢٤ / أمرنا مترفياً ففسقوا فيها...!..... ٧٣
- ٢٥ / حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً...!..... ٧٦
- ٢٦ / وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ...!..... ٧٨
- ٢٧ / وَلَمَّا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ...!..... ٨٠
- ٢٨ / إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...!..... ٨٣
- ٢٩ / أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا..... ٨٦
- ٣٠ / أَمَّنْ حِيبَ الْمَضْطَرِّ إِذَا دَعَا...!..... ٨٩

المدخل

الحمدُ لله ، فتحَ أفهامنا بعلمه، وأنارَ بصائرنا بطاعته ، وجعلنا
خيرَ أمةٍ أُخرجت للناس، وأصلي وأسلمُ على خير خلقه ورسوله،
وصفوة أنبيائه وعباده، نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين ...

أما بعد :

فما بُعدت القلوبُ عن كلام ربها، إلا قست ، ولا قُربت منه إلا
لانت وطابت، ومن جماليات حياتنا ، دويُّ القرآن في المساجد
والدروس والأسواق والمركبات، حتى إن بعضها ليعظمُ
مباشرةً، ويضربُ في وجدانك، ليوظك اليقظة الحقيقية، فتفقه
الحياة، وتعي الوجود ..! لأنّ ديانا وجودٌ مزيف، وملذاتٌ

خادعة ، لا وعي لها إلا من خلال دروس الوحي ، وفي كتاب الله
فهمها ، وحياتها وجنتها في الدنيا والآخرة...!

وقد كنت أستطيعُ في الدروس والكلمات السريعة والمفاجئة ،

التعليق على "تلاوة الإمام" ، وربط الناس بالقرآن ، وتقريب

فهمه إليهم ، بحيث يقوى إيمانهم ، وتتهذب أخلاقهم ، وتصحُّ

قلوبهم ، وهو منهج التزامناه من قديم بحمد الله تعالى ،

وانشروحت النفس لذلك لنا فيه من لطائف ومستلذات نادرة ، قال

الحسن رحمه الله : (والله ما دون القرآن من غنى ، ولا بعده من

فاقة - أي فقر). وقال سفيان الثوري رحمه الله نادماً على انشغاله

بفروع العلم : (ليتني كنت اقتصرْتُ على القرآن) . وقال الإمام

ابن تيمية رحمه الله بعد عمر مديد في التصنيفات الخارقة :



(وندمتُ على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن).

وما ذلك إلا لعظمة دروس القرآن، وفخامة تدبرها !..

وقد مورسَ عملياً ذلك في كتب صدرت منها:

• نسمات من أم القرى . جزأين .

• آية وأهبة

• الشرفُ الأعظم

وغالبُ دروس رمضان عقيب التراويح في "جامعي الفهد

والعنود" بمحائل ، وهي طريقةٌ تعلمها من الشيخ العلامة محمد

بن صالح العثيمين رحمه الله في دروس الحرم المكي، حيث كان

يختار آيةً يفسرها تفسيراً تدبيرياً مقرباً للخلائق الحاضرة، ويعلم

الله كم انتفعنا من هذا الأسلوب ، ثم صرنا ننهجه في دروسنا



ومواعظنا، وما أحلاه وأجمله اذا جاء عفويا بلا إعداد ولا ترتيب، لا سيما عند طلب الأئمة المفاجيء ، وقد حسنوا الظن، واستطابوا المشاركة ...!

ويكفي حينها استعدادك الحاضر ، ومخزونك القديم، وتواصلك الدعوي ، وديمة الاطلاع والمذاكرة ، ويكفيك معالم الفاتحة ومشهورات جزء عمّ ابتداءً ، ثم لا تشعر، إلا وأنت تسبح في درس تاريخي أو عقدي أو فقهي أو سيري تأملي وشبهها ، وتزينها حينئذ قصة أو عبرة وحكمة ومثال..!

وبعد مدةٍ من الزمان بدا له تقييدها للعظة والاعتبار، ونفع نفسه أولاً ثم زملائه ثانيًا ، وكان يقيد ما تيسر منها، وكثير منها كانت تشتعلُ في رمضان حيث انشراحُ النفوس وقربها من القرآن في

موسم كريم ندي مؤثر ، علاوةً على استعداده النفسي كلما صلّى
في مسجد غريب، فيتسنى له التعليق بإذن الإمام وطلب جماعة
المسجد .

ولا تزال بلادنا بحمد الله هي ومساجدها خصبةً بالذكر
والدروس المشاعة في كل مكان بتوجيهات القيادة الكريمة ،
 وجهود الوزارة مشكورة، وكانت تتاح مثل تلكم الاجواء العلمية
فتثمر تدبراً وتعليقا حول الآيات يبقى في النفوس والأذهان ...!
ولكيلا تطيرَ بدأت اليراعةُ بحفظها في الجوال وفي القراطيس،
ومحاولة حفظها قدر المستطاع ، حتى تجمع في مؤلف مختص .
فتم ذلك هذه الأيام المحمودة ، والنفس فيها مشغولة الصوارف،
كثيرة الظروف ، منهمة المشروعات ، ولم يكن بدُّ من إيجاد



ثغرة ، وتسجيل همسة حول تلكم الآيات المجيدات، لا سيما
وأن درس القرآن له وقع القلب والروحي ، وموعظته محببة إلى
النفوس ، فاندفع القلم في بضعة ليالٍ، حتى تم الفراغ منها هذا
اليوم بحمد الله وتوفيقه ، سائلاً المولى الكريم القبول وحسن
الفهم والقصد، إنه واسع المنّ والفضل، نعم المولى ونعم
النصير .

محاييل عسير

١٣ / ٣ / ١٤٤٣ هـ



١٨ / الأبد ذكر الله تطمئن القلوب..!

- تلاها فاستقرت في قلوب المصلين ، ووعاها الصالحُ فهو يستطعمُ الطمأنينة ، والمقصر يفزع إلى القرآن ليُذهب قلقه، والعاصي مع معصيته ، يُردد الذكر كثيرا ، ويستغفر ، ويدرك كم هو بعيدٌ بمعصيته، وغالبًا ما يفسر غفلته وقسوة القلب بقلة الذكر، وضعف الأوراد والاعتاظ ...!
- فكم مرةً غفل عن الصلاة.. وأضاع ورده ، وشغل عن تأمله..!



- ولذلك كان جزاء الغفلة ، قسوة القلب، وجذب الروح، وقلة الاعتاظ .. فيا ويلَ من هجره وضيعه سيصاب بالسقم ،

وتعتريه الكآبة ، ويفقد الطمأنينة..! قال الإمام مالك بن دينار
رحمه الله: (ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن؟ إن

القرآن ربيع المؤمن؛ كما أن الغيث ربيع الأرض).

- ولكن تكاثر الآيات، وزيادة ترددها أو سماعها ، يصفعُ القلب، ويوريه نباهةً، فيصحو من رقدته الطويلة ، وشروده الجاثم، ليقول له: هلم إلى راحة القلب، وشفاء الصدر، ولذة الاستماع ، وروعة الجمال ، وطيب المنظر ، وسلوان الروح... (ألا بذكر الله تطمئن القلوب).

- ليس اطمئنانها في سهرة طويلة ، ولا كلام ضاحك، ولا موائد فخمة، أو حدائق جميلة..! كلابل في ذكرٍ وعطر، وجمالٍ وسحر، وتأمل وإخبات، وخشوع وملذة ، وانسراح

وأطيب، وذلك لا يتأتى إلا في الكتاب العزيز، والقرآن
العظيم.. (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) سورة
الشورى . اللهم املاً قلوبنا طمأنينةً بذكرك وحبك، إنك
جوادٌ كريم .



٢ / فنادى في الظلمات..!

- لما سمعها ابتداءً تساءل ما تلكم الظلمات وموقعها وحقيقتها فلما عرفها. أدرك أنها ظلماتٌ سيطرت عليه من كل مكان ، حتى باتَ في دُجى حارق، وليلٍ بهيم، ومساءٍ كئيب ، والمخاطر تلفه من كل مكان ، وليس له حَوْلٌ ولا طول إلا في الاعتمادِ على ربه، وذكرِ خالقه، واللجوءِ إلى حافظه ومُنجيه. فشقَّ تلك الظلمات بتسبيحِ نادر ، وتوحيدِ ساطع ، شق به دياجي الظلم، وطعن به تراكمات الكرب... (فنادى في الظلمات أن لا إلهَ إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) سورة الأنبياء.



- واعترف النبي يونس عليه السلام بالخطيئة والظلم ، وأنه لم يراجع ربه في ترك قومه الكفار ابتداءً، فأدبه ربه بتلك الرحلة البحرية ، وامتطى الفلك المشحون، فماجت بهم الأمواج ، ولعبت بهم الرياح، حتى تخففوا من المتاع ومن البشر المخطئين .. فساهم معهم فكانت من المدحضين أي المهزومين ، وعرف أنه ابتلاء من الله تعالى ، فوقع وقعة البحر ، ورأى عجائب المخلوقات وهنالك صلى وذكر وسبح، فمدحه الله تعالى : (فلولا أنه كان من المسبحين للبت في بطنه إلى يوم يعثون) سورة الصافات .
- وهنا قدرةٌ إلهيةٌ مذهلة ، تحمل على الإيمان واليقين، وبيان حفظ الله لعباده المخلصين الذاكرين ، وأنّ الكون بيد

الواحد الأحد، ولا يكون إلا ما يريد الخالق الأجل، تبارك
وتعالى . وأن الموت حق، وثمة بعث ورجعة ومعاد ..!

• وقد أوصى صلى الله عليه وسلم بدعوة صاحب الحوت عند

الكروب والشدائد، فقال في الحديث الصحيح : (دَعْوَةُ ذِي

النُّونِ - إِذْ دَعَا، وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ

مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ). فلا تهمل أخي

المسلم هذه الدعوة في حياتك، موجزة وسهلة وميسورة،

وفقكم الله وأعانكم.



٣ / اهدنا الصراط المستقيم..!

- رنت في ذهنه، واستوعبتها نفسه ، وتعجبَ لماذا كلَّ يوم..؟! وكلَّ لحظة وركعة فعرّف فقره إلى الصراط الصحيح ، وهو يشاهد الفتن، والسبل المختلفة، ويعاين ضحايا البدع والشبهات ، ومحبي الاختلافات والتصدعات...!!



- نعم أنت بحاجة للمستقيم ، وأنا وهو وكلهم... لكثرة الاعوجاج في الدنيا ، ولأننا فقراء في زمان بئس تعيس ، قد غصّ بالموبقات ، وتطبيع المناكر، وتسهيل الفضائع ،

وتحبيب الشرور ... (ويريد الذين يتبعون الشهوات أن
تميلوا ميلاً عظيماً) سورة النساء .

● فللشهوآت والشنار والاعوجاج رايآته الفآتنة ، وبيآرقه
الخدآعة ، ودعآته المردة الفجرة...! الذين صفق لهم
إبليس وبآعهم فنونه .. وقال إني رآحل مآ عآدلي دورٌ
هنا...! دوري أَنتم ستلعبونه...!

● وحينمآ تتأمل إعلآمآ مخطوفآ ، أو مذمومآ ، أو متآجرآ ، أو
منحرفآ ، توقن لمآذا الصُراطُ كثرية ، والطرقآتُ مآختلفة ، وأنَّ
المستقيم الطيب نادر ، والطريق المستبين عزيز...! وقد قلت
بيآرقه ، وعزت أنصاره ، وآتهم آحبآئه...!

● ولذلك دآئمآ نردد هذه الدرآة القرآنية (آهدنآ الصراط
المستقيم) أي وفقنآ وآهمنآ وثبتنآ ، وكلهآ محتآج إليها ،

مستمسكٌ بها، ولا غنى للمؤمن عن الدعاء واللّهج
والاستغاثة بربه...!

• فهذه الآية المباركة تُعلّقك بالله، وتدفع الغرور، وتحبّبك
الدعاء، وتربطك بالسماء، وتكشفُ لك مدى فقرك
وضعفك.. (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله، والله هو
الغنيُّ الحميد) سورة فاطر.

• قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "والقولُ الجامع في تفسير
الصراط المستقيم هو الطريقُ الذي نصّبهُ الله لعباده على
ألسنة رسله، وجعله موصلاً لعباده إليه ولا طريق لهم سواه،
وهو إفراده بالعبودية وإفراد رسله بالطاعة، وهو مضمون
شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله،..."
والسلام.



١٤ / في قلوبهم مرض..!

تساءل وهو يسمعها من الشيخ: ما مرض هؤلاء وما الذي دهاهم

حتى صيرهم منافقين، وعاقبهم المولى تعالى بالزيادة

والمضاعفة ، فلقد استفحل شرهم، وزاد فسادهم. فنظر لبعض

صفاتهم وسيرهم في عصر النبوة ، فعرف بغضهم للإسلام ،

وكرهيتهم للشريعة ، ومحبتهم الأعداء ، وضيقتهم من

الخيار..!



• وطالع منافقي زمانه، وحياتهم المعاصرة، فرأى منافقين

يحبون الكفار أكثر من المسلمين، ويخدمونهم خدماتٍ

جبارة، فعرف لماذا هم مرضى ، وما مرضهم ، وكيف

زادهم الله... (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً..) سورة

البقرة .

- والمرض هنا ليس اعتلال جسد ، أو تكدر صحة ، أو خمول عضو ، ولكنه ما يلزم بهم في عقائدهم وأفكارهم ، من أمراض على وجه الاستعارة ، شكاً ونفاقاً ، أو جحداً وتكديباً ، أو باطلاً وعناداً...! فكلها أمراض تخالط المنافقين ويزدادون بها فجوراً وشرّاً ، وكلما تضاعفت نعم أهل الإيمان تضاعفوا حقداً وعتوا ، فيزيدهم الله مرضاً وشكاً ، والعياذ بالله ، أو يكون من باب الدعاء عليهم فيغرقون في الريب بلا منجاةٍ ولا منقذ...!

- والحكمةُ من ذلك تخوف النفاق والحذر من أهله ، وهجر مجالسهم أو كتبهم أو تعليقاتهم ، وأن مرض القلب أشد فتكاً من مرض الجسد ، وقد خافه السلف، وجانبه الخيار عبر التاريخ الايماني المشرق ..! قال ابن أبي مليكة رحمه الله : (أدركتُ ثلاثين من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل). وعن الحسن رحمه الله : (ما خافه أي: النفاق إلا مؤمن، ولا آمنه إلا منافق) .
- وصح بعضُهم عند الحاكم استعاذته صلى الله عليه وسلم من أمور، وعد النفاق منها وهو إظهار الإيمان وإبطان الكفر والفساد، ومنه الرياء العملي : (اللهم إني أعوذُ بِكَ مِنْ

الْفَقْرُ وَالْكَفْرُ ، وَالْفُسُوقِ ، وَالشَّقَاقِ ، وَالنَّفَاقِ ، وَالسُّمْعَةِ ،

وَالرِّيَاءِ) . والله الموفق .



١٥ / وسارعوا إلى مغفرة من ربكم..!

قرأها الشيخ قراءة مؤثرة ، انسابت رباحينها في القلوب..
والأصل في البشر مسارعتهم في الدنيا وركضهم وراء شؤونهم
ومتاعهم..! لكن الآية تستنفر لشيء آخر عظيم، وهو ينايع
المغفرة المنشورة في هذا الدين المجيد...! قال وهيب بن الورد
رحمه الله : (إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل) .



- فمن تأملها أو تفكر فيها، أو عدّها، وسلك سبلها...
(وسارعوا إلى مغفرة من ربكم) سورة آل عمران. ولماذا
خص المغفرة بالذكر. وهل ثمة ذنوبٌ تورط فيها بنو آدم...
نعم فإن المسلمين لا ينفكون من التقصير، وفي طاعات
ربهم مغفرة لهم، وثواب وتكريم...!

• وكل طاعاتنا لا تخلو من خلل وغفلات، ولذلك تعينت المسارعة والمسابقة كما في آيات أخرى . وقيل المراد أسباب المغفرة الموضوعه في الأعمال الصالحة، والقربات المشروعة كالصلاة والذكر، والهجرة والفرائض والجهاد، كما نقل عن بعضهم...!

• ويدخل فيها سائر الأنواع والأبواب ، وقدمت المغفرة على الجنة لأن التخليّة مُقدّمة على التخليّة، أو لأنها كالسبب لدخول الجنة، فالعصاة ترجيهم ذنوبهم، فاحتاجوا إلى تطهير وتهذيب...!

• ولما كانت الجنة عظيمة الوصف ، واسعة الأرجاء ، لا نظير لها في المخلوقات قال.. (وجنة عرضها السموات

والأرض) قيل مبالغة في السعة والعظم . وَقَدْ رُوِيَ فِي مُسْنَدِ
الإمام أحمد : أَنَّ هِرَقْلَ كَتَبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ : إِنَّكَ دَعَوْتَنِي
إِلَى جَنَّةٍ عَرَضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، فَأَيْنَ النَّارُ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ
ﷺ : "سبحان الله فَأَيْنَ اللَّيْلِ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ ؟" ! والمرادُ ان لا
نفي لوجوده ولو لم نره من العالم، أو يكون في الجانب
الآخر، والله على كل شيء قدير .

١٦ / إن بطش ربك لشديد..! □

قرأها الإمام فتيّمت في صدورنا، وأورث فينا خوفاً وخشية...!
فمن الذي يضاهاه الله تعالى في بطشه وقوته... (إن بطش ربك
لشديد) سورة البروج . فمهما فعلوا، أو بطشوا ونكلوا بأهل
الإيمان ، فاللهُ بطشهُ أعظم منهم، وتنكيله سيُحيط بهم... فلا
يغتروا بقوتهم ، سيأتيهم من حيث لا يشعرون، ويوقع فيهم
البلايا والأنكاد...! وكما فيها تصبيرٌ للمؤمنين ، فيها إنذارٌ
وتخويف للمجرمين ، أن يرتدعوا ويكفوا عن غيهم ومطاردة
الصالحين...!



• وقد كان ذلك في سياق تنكيل "ذي نواس" أصحاب

الأخدود ، بمؤمني زمانهم المستضعفين .. (وما نقموا

منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد). ولكن الله يمهل
ويختبر، ويمحص ويجري سننه، فإذا حامت ساعتهم
أخذهم أخذ عزيزٍ مقتدر، كما قال سبحانه بعدها.. (والله
من ورائهم محيط). وفي مواضع كثيرة من القرآن إخباراً
بانتصار أهل الإيمان (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا)
(وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) (والعاقبة للمتقين)
(فليدعُ ناديه سندع الزبانية). وكلها سلوان وتثبيت
للمؤمنين، وأن الله معهم، ومحيط بأعدائهم.

- ودائماً استشعر هذا المعنى وأنت ترى صور البلاء في هذه
الدنيا، وتيقن أن الله مع عباده، وليس بغافل عما ظلم،
وتجاوز وأسرف.. (إن بطش ربك لشديد، إنه هو يبدئ

ويعيد) خلق الخلق ، ويفنيهم ثم يعيدهم، وكذلك ينكل
بالمجرمين في الدنيا، ويعيده عليهم في الآخرة ، والله
المستعان .



١٧ حتى يحكموك فيما شجر بينهم

قُرئت فتفكر فيها : كيف يكون رسول الله حكماً بيننا وقد مات ،
ورحل جثمانه ، فقال له الشيخ : هو حكمٌ بسنته وهديه ، فحكّمه
في حياتك ، وعُد إليها عند النزاع والشجار .. (فيما شجر بينهم)
وكم من خلاف بيننا ، حاكمه الهوى أو العناد ، أو الثقافةُ
المزعومة ... والاطلاع الواسع في غير المصادر الشرعية ...
ونظير ذلك : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) وقوله :
(وما آتاكم الرسول فخذوه) وشبهاتها من النصوص والأدلة .



- ولذلك مات رسولُ الله ولم تمت سنته ، وقد نقلها الأئمة ،
وأسندها الحفاظ ، وشرحها الفقهاء ، فباتت مدونةً

محفوظة، وعليةً مصونة..! ولم يبق إلا قراءتها والانتفاع بما

فيها، وهذا هو الاتباع الحقيقي، والامثال السليم.

• وسبب التحكيم والرضا به، أنه جوهر الإيمان، من اعترض

عليه فلا إيمان له، قال الإمام أحمد رحمه الله: (من ردّ

حديث رسول الله فهو على شفا هلكة).

• ولذلك يقبله المؤمنون بكل شرح واطمئنان... (ويسلموا

تسليماً) انقياد تام، وخضوع خالص، ورضا فسيح فكل

سنةٍ أو أثر يعرض عليك ويذكر حجةً في باب من العلم أو

مشكلات الحياة، فخذ به بلا تردد، وأسلمه قلبك، وكن

عالي الإيمان به، راضياً تمام الرضا، والحمد لله رب

العالمين.

٨ / فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليه..!

تُليت .. ففهمها على البديهة، ولم يحتج شرحاً ، أو تفسيراً...!
والسببُ أنه يشاهدُ الناسَ في الحرم طائفين ومصلين ، وزائرين
ومحبين، قد تكنفهم الشوقُ، والتفهم الحنينُ، واجتذبهم الجمالُ
والصفاء، ولا يكاد يخلو من مصلٍ أو طائفٍ أو ذاكرٍ (فاجعل
أفئدةً من الناس تهوي إليهم..) سورة إبراهيم.



- ومعناها: تحنّ فطال حنينها ، واشتات ورق شوقها،
وانسابت وطاب انسيابها، حتى انحدرت وتجمعت أفواجاً
ضخمة ، وأعداداً مهولة، وجموعاً غفيرة ...
- وجعله الله خاصاً لأهل الإسلام فقط ، حيث قال : (من
الناس) ولم يقل : (الناس) ولو قالها لزدحمت عليه الأمم ،

فُرساً وروماً وهنداً وتركاً...! ولكن الله اختص به عباده،
وأصدقهم أشدهم شوقاً إليه، وتلقاهم دائماً له زائرین
ومبجلین...! قال الحبرُ ابن عباس رضي الله عنه : (لو قال
أفئدة الناس لآزدهمت عليه فارس والترك والروم والهند،
ولحج اليهود والنصارى والناس كلهم، ولكنه قال (أفئدة من
الناس) فخص به المؤمنين) .

- وفي ذلك تقويةٌ ليقينِ المؤمنين ، وعظة وزجر للكافرين
والممترين ، الذين في شك من دينهم، وفي تخليط من
حياتهم، فلا هم في رشاد، ولا من أمرهم في صلاح...!!
- فلا يمكن للقوى العظمى هذا الزمان صناعةً معبداً ، يعظم
كتعظيم المؤمنين إسلامهم وحرمتهم ومكتهم ، ويجتمعون

فيه هذا الاجتماع الشائق بلا إكراهٍ أو جبرٍ ومال..! إنَّ في

ذلك لعبرةً لأولي الأبصار...!



٩ / الهاكمُ التكاثر حتى زرتُم المقابر...!

سُمت من شيخٍ مشهور ، حزينِ الصوت ، أسيفِ القلب...
رددتها في صلاة المغرب ، فاستشعرَ التكاثر وما سببه من غفلات
في حياتنا ... حتى بشم بعضنا من ضخامة النعم ، وكثرة
الخيرات .. ثم انتهى بنا الأمر إلى المقابر ، وصيرة بني آدم
تراباً...!



- واشتدت الغفلةُ، وزادت الملاهي ، حتى وافتكم الموت ،
وحضرت المنايا، فتبعثر ذلك التكاثر، وذهب التنافسُ
الديني...!

• فمتى يتعظ الإنسان ، ويتفكر في السرف المباشرة في حياتنا،
تكاثراً وتنافساً ، وتفاخراً. وقد يصاحب ذلك بطراً فحج،
وبخل وحرمان ، وطبقية جامحة .. تحرم الفقراء، وتجحد
المساكين!

• ولعل في هذه الآية الرائعة ما نوعاً بها، فتحملنا على
الاقتصاد ، واستذكار الآخرة والاستعداد لها .. وفي الحديث
الصحيح عَنْ مُطَرِّفٍ ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : أَتَيْتُ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْرَأُ : { أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ } ،
قَالَ : " يَقُولُ ابْنُ آدَمَ : مَالِي مَالِي . قَالَ : وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ
مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَنْفَيْتَ ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ ، أَوْ تَصَدَّقْتَ
فَأَمْضَيْتَ ؟ " .

- فانتفع بالدنيا باعتدال، واجعلها مغنماً إلى الآخرة، ولا تُشغلك عن ذكر الله، أو تفرط فيها فتنس فرائض الله عليك، وكن دائماً على ادكار، وخوفٍ وترقب، فالتكاثر أهلك كثيرين، وجعل منهم آيةً وعبرة...!



١٠ / كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون..!

سمعتها مرةً فتأثر بها، ودقق في معناها، فعرف أن نومهم من الليل قليل محدود، وليس كأحوال زماننا، سهر وغفلة وضياع، إلا من رحم الله...!



- وقد فقه هؤلاء الصالحون شرف القيام، والخلوة بالعبادة، وحسن الصلة بالله، وفضل مناجاته... (وبالأسحار هم يستغفرون) سورة الذاريات. فصار ليُهم صلاةً واستغفاراً...! وقد صح قوله صلى الله عليه وسلم: (وصلّوا بالليل والناس نيامٌ تدخلوا الجنة بسلام). قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ما تأتي عليهم ليلة ينامون حتى

يصبحوا، إلا يصلون فيها) . وما مصدرية هنا، أي هجومهم

من الليل قليل، وليس معناه أنهم لا ينامون ..!

• بل ينامون ويعطون الجسم حقه، ولكنهم لا ينسون حق

الله، ولا طيبة قلوبهم وراحتها في نعمة القيام، وجمال

السحر، وحلو المناجاة، فثمة أسرار وأطياب وأفراح...!

يقول الإمام ابن تيمية - رحمه الله -: (إذا ناجى العبدُ ربه في

السَّحَر واستغاث به وقال: يا حيُّ يا قيُّوم لا إله إلا أنت

برحمتك أستغيث؛ أعطاه الله من التمكين ما لا يعلمه إلا

الله) .

• فلا تزهد عبد الله أن تصيب شيئاً من تلك القربة المحبوبة ،

وهذه الطاعة النبيلة ، التي ما هدي لها عبد إلا أفلح وأنجح

، ورقى وارلقى.. قال الحسنُ البصري رحمه الله : (ما

نعلم شيئاً أشدَّ من مكابدة اللَّيل ونفقة هذا المال، فقليل : ما
بالُ المتهَجِّدين من أحسن الناس وجوهاً ؟ قال : لأنهم
خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره .

- وحال السلف في ذلك عجيب .. كان عبد العزيز بن رواد
رحمه الله: " إذا جنَّ عليه الليل يأتي فراشه فيمد يده عليه
ويقول: إنك لليّنِّ ووالله إن في الجنة لألينَ منك ، فلا يزال
يصلي الليل كله ". ومن المفيد هنا يا إخوة: بعد وعي أهمية
هذه الطاعة، قراءة سير السلف في ذلك، وقد كتب الناس
فيها كثيراً ومن أحسنها كتابُ دكتور سيد العفاني حفظه اللهُ
(رهبان الليل) ، فطالعه لتذهب الكسل، وتستشعر الفضل،
وتعاین فضل الجيل الفريد ، والله الموفق .



١١ / من بعد أن نزع الشيطان بيني..!

تلاها الإمام فتعجب من الأدب فيها ، ونفسية يوسف عليه السلام

العالية، والتي ترفعت عن النقد والهمز لإخوته.. برغم ما فعلوه

من أذى وطرده ونكاية....! قال يُوسُفَ لِأَبِيهِ وَإِخْوَتِهِ: ﴿ وَقَدْ

أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ

نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: أَخْرَجَنِي مِنَ الْجُبِّ، حِفْظًا لِلأَدَبِ

مَعَ إِخْوَتِهِ. وَتَفْتِيًّا عَلَيْهِمْ: أَنْ لَا يُخْجَلَهُمْ بِمَا جَرَى فِي

الْجُبِّ. وَقَالَ ﴿ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: رَفَعَ عَنْكُمْ جُهْدَ

الْجُوعِ وَالْحَاجَةَ. أَدَبًا مَعَهُمْ.



• وَأَضَافَ مَا جَرَى إِلَى السَّبَبِ، وَلَمْ يُضِفْهُ إِلَى الْمُبَاشِرِ الَّذِي

هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْهُ، فَقَالَ: ﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي

وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴿ فَأَعْطَى الْفُتُوَّةَ وَالكَرَمَ وَالْأَدَبَ حَقَّهُ، وَعَزَا
ذلك الى الشيطان وتسويله ، ولهذا لَمْ يَكُنْ كَمَا لَ هَذَا الْخُلُقِ
إِلَّا لِلرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ. وَمِنْ هَذَا
أَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ الرَّجُلَ: أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَتَهُ، وَإِنْ كَانَ خَالِيًا لَا يَرَاهُ
أَحَدٌ، أَدَبًا مَعَ اللَّهِ، عَلَى حَسَبِ الْقُرْبِ مِنْهُ، وَتَعْظِيمِهِ وَإِجْلَالِهِ،
وَشِدَّةِ الْحَيَاءِ مِنْهُ، وَمَعْرِفَةِ وَقَارِهِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: " الزَّمِ
الْأَدَبَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا. فَمَا أَسَاءَ أَحَدٌ الْأَدَبَ فِي الظَّاهِرِ إِلَّا
عُوقِبَ ظَاهِرًا".

- ونتعلم هنا فنّ العتاب ، وترك الصراحة الكاشفة في منازل
العفو والصفح، وأن يكون عتابنا لطيفاً ، ليس جارحاً ، ولا
مستنقصاً، بل متغابياً متجاهلاً ما حصل ، كما قيل : ليس

الغبيّ بسيدٍ في قومه... لكنّ سيّد قومه المتغابي...! وقيل

للإمام أحمد رحمه الله : فلان يقول : "التغافل تسعةُ أعشار

العقل " ، قال : بل هو العقل كله " ...! والسلام .



١٢ / إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا..!

آية .. حينما تسمعها تهز الفؤادَ ، وتحدث شعيرة ملتبهة في

النفس ، ينتفض لها الجلد ، ويرجف منها خاطر .. (إنما

يأكلون في بطونهم نارًا) سورة النساء .



• وهي تبشيعٌ لصورة من صور الظلم الاجتماعي الطاغي هذه

الأيام ، وهي أكل مال اليتيم ، والضحك عليه أو اغتصابه

لانعدام الولي ، أو تناول الجار عليه ، أو مخادعته ، أو

افتراسه من الداخل عبر وصي جائر ، يزعم رعايته وهو في

امتصاصه كالحوت لا يبقى فيه روحًا ولا نسمة!

• والمرادُ بأكل النار ما يكون سبباً للنار من طرق الحرام ،

تعبيراً بالمسبب عن السبب ، على وجه المجاز ، وقيل : لا ،

بل حقيقة يأكلها وتعذبه، وتصلاه في جوفه . وقال بعضهم :
يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه
ومن مسامعه وأذنيه وعينه وأنفه يعرفه من رآه بأكل مال
اليتيم.!

- ولعل تأمل هذه الصورة الفظيعة يحملنا على تطهير أموالنا ،
ومراقبة الله ، ودرء المال الحرام من الأيتام والضعفة، وكل
صنوف المحرمات ، والحرص على رحمتهم بدلا من
نهبهم، والتفنن في اختلاسها ، والله المستعان ، وقد صحَّ في
السنة قوله عليه الصلاة والسلام : (أنا وكافل اليتيم كهاتين ،
وأشار بأصبعيه) وقال للمتطاولين : (إني أخرجُ حق
الضعيفين : المرأة واليتيم). أي ألحقُ الحرج وهو الإثم .



١٣ / فترى المجرمين مشفقين..!

لما تُليت قرَّعت رأسه، وصكَّت في أذنيه ، وتساءل : هل سيأتي

يوم على هؤلاء الفجرة ، وقد أجرموا كثيرا ، وفعلوا شنارا ،

وارتكبوا موبقات ، أن يكونوا خائفين مشفقين... كما قال تعالى

هنا : (فترى المجرمين مشفقين مما فيه) سورة الكهف . قد

وجلوا من أعمالهم القبيحة ، وتخوفوا فعالهم ، وما تنتهي إليه

حالهم من الافتضاح ، والنتيجة السيئة...! وهي حالة تعني

القلق والحزن، الذي ما عرفوه لدى موبقاتهم.. فإذا عاينوها ،

قالوا: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا

أَخْصَاهَا﴾ أي: لا يترك خطيئة صغيرة ولا كبيرة، إلا وهي

مكتوبة فيه، محفوظة ، لم ينس منها عمل ، لا سرا ولا علانية،

ولا ليل ولا نهار، ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ لا يقدرّون على
إنكاره ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ .



- هؤلاء الذين عُرفوا بغلظتهم دائماً ، وانعدام الرحمة والخوف من قلوبهم ، إذ جل أعمالهم ، تكشف فساد قلوبهم ، وسواد فعالهم ، وأنهم أشخاص تجردوا من مخافة الله ومراقبته ، وامتطوا صهوة الكبر والاستعلاء...!
- فكانوا لما حضر التغابن والنتائج المخزية ، وفيها ما فيها من جرائم مطولة ، ومفاسد فتاكة ، وجرائم مقذعة ، ونظر الأشهاد ، في حال تعيسة كئيبة ، قد تجلاهم الإشفاق ، وعلاها الهم والحزن .. (ولا يظلم ربك أحدا).

• وتبين لهم صدقُ القيامة، وصحة القارعة، وأن الحسابَ حق، وأن العاقبة للمتقين المستضعفين، والدائرة على المجرمين الظالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

• وإذا ما رأيتَ طغيانَ ظالم، أو تطاول مجرمٍ، فتذكر أنه سيأتي ذليلاً مشفقاً في يوم لا ريب فيه، كما في موضع آخر (ناكسوا رؤوسهم عند ربهم) والمعنى: مطأطئوها ذلّةً وحقارةً، حياءً وندماً على ما فرطَ منهم في الدنيا من الشرك بالله، والذنوبِ وحربِ دينه وعباده. والله المستعان.



١٤ / وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى..!

مكانٌ قصيُّ بعيد، ولا يعنيه في دنياه، ومسائله الخاصة، ومع ذلك
تحرك وجاء ذلك الرجل المؤمن، واهتم واعتنى، وكان ساعياً
مجتهداً، حريصاً على حماية موسى وإنقاذ الدعوة... (قال يا
موسى إن الملائمة يأترون بك ليقتلوك...) سورة القصص .



- فهنا داعيةٌ غيور، وناصح أمين، ومؤمن حريص، وجندي
مقدام.. لم يمنعه بُعدُه من المشاركة ولو بالبلاغ المبين،
والتحذير المشفق، والنصح الصادق، وكذلك مما يدل على
علو همته سعيه الأشد، وحركته المتحمسة، لإعلان النذارة،
وتسجيل موقف إصلاحٍ، من شأنه حماية الدعوة
وأهلها...!

- والهمة والشجاعة والإيجابية خصال مهمة للعمل الدعوي ،
والحفاظ على قوتها ، وصونها من الأعداء والأغراض ،
لا سيما وقد وصفه بالرجولة قبل موضعه ، خلافاً لآية
ياسين، في رسل أهل القرية قال: (وجاء من أقصى المدينة
رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين) سورة يس : ٢٠
. فأخر ذكره، وكان نبأ الدعوة قد انتشر في المدينة كلها،
بخلاف السابق، الذي تفرد بالخبر وتشجع في نقله ، والله
تعالى أعلم.



١٥- يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا

العلم درجات..!

كلما رنّت في أذنيه زادته تحبباً في العلم وأهله ، والافتخار بدوره

ومكانته...! فهنا يقول لك باختصار : هم مرفوعون ، منزهون ،

مكرمون.. شرفهم عالٍ، ومكانتهم شامخة ، وقدرهم لا يكاد

يُضاهى..! وأهل الدنيا والجاه والمكانة يتمنون منزلتهم وشرفهم

(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) سورة

المجادلة .



• فلم يحل فقرهم من الرفعة ، ولا منعتهم الاستكانة ، أو

التضييق والظروف الصعبة عن المعالي ..! لأنّ شرفهم

الكبير يخرق كلّ الحدود والسدود ، وعلمهم يجعلهم

يشمخون ، ومن وراء ذلك حفظُ الله وتأييده ونصرته.. (إنَّ
اللهَ يدافع عن الذين آمنوا) (إنا لننصرُ رسَلنا والذين آمنوا..)
. ما داموا في علمهم مخلصين، وفي القيام به عاملين ، فإنما
العلمُ العملُ، والشريعةُ التطبيقُ، قال علي رضي الله عنه:
(هتف العلمُ بالعمل ، فإن أجابه وإلا ارتحل).

- وهذا حافزٌ مشجع على العلم وطلبه ، والسؤالِ عنه والبحث
فيه، والركض في دروسه ومجالسه، والهيام بأهله ومحبتهم،
فمن عاشَرَ القوم أحبهم وصار منهم ، وحمل من أفهامهم
ودينهم وأخلاقهم ، والله واسع المنّ والفضل .



١٦ / يريدون أن يُطفئوا نور الله بأفواههم..!

جلجلَ بها الشيخُ الإمامُ وصدحَ بها صوتاً وجمالاً ، ف وقعت منه
موقعاً... وتساءل مندهشاً في هذه الصورة، ومحاولات الأعداي
إطفاءَ نور الله بأفواههم... (يريدون أن يُطفئوا نورَ الله بأفواههم
ويأبى الله إلا أن يتم نوره..) سورة التوبة. ومع ما فيها من كشفٍ
لعدائهم الدائم ، إلا أنها تحقيرٌ لدورهم وشماتة بهم، حيث لا
استطاعة على إطفاء نورٍ وهاجٍ فسيح، قد غطى الآفاق ، وبلغَ
الليلَ والنهار...!



- ففعلهم كمن يحاولُ إطفاءَ نور الشمس أو القمر ، بفيه
الصغير، ومسالكه العليلة، إذ الشرائعُ متينةٌ مضيئةٌ، والبراهين
ساطعة .. ! وهل يفلحُ مثلُ ذلك قطعاً مصيره الفشل ،

لضعف الحجة ، وقصور البيان، وتعاسة المحتوى...!
ولذلك رد الله عليهم بتحديه لباطلهم.. (ويأبى الله إلا أن يتم
نوره ولو كره الكافرون . هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى
وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ).

- فمهما كان من خطبٍ أو تحدٍ وصراع ، ففضى الله قضاءً
بهزيمتهم وإتمام نوره على كل الأديان كلها، ولو كره من
كره، وشقي من شقي..! وفي هذا دليل على حُسن عاقبة أهل
الإيمان ، وبشرى لهم وتنفيس ، وأن دينهم غالبٌ، وملتهم
منصورة، وعدوهم خاسر، والله الحمد والمنة .



١٧ / وَلَقَدْ نَعَلْمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ..!

- نعم كلنا يضيقُ من شدائد الحياة ، وكما هو فينا ، فقد كان فيمن قبلنا من الأنبياء والصالحين ، اعتراهم في دعوتهم من جراء ما لاقوا من أقوامهم من سخريّةٍ واستهزاء فضاقت النفوس ، إذ رُموا بالجنون أو السحر أو الإفساد في الأرض ، وهو ما حصل لخيرهم وسيدهم نبينا صلى الله عليه وسلم :
(وَلَقَدْ نَعَلْمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ) والضيق هو ما يعترى النفس من كدرٍ وغمٍ وهم ، فأوصاه ربُّه بسلوك العلاج الأمثل في ذلك ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾ . سورة الحجر ٩٨ .

- (فسبح بحمد ربك) أي افزع إلى الله فيما نابك ، وافعل التسبيح المتلبس بالحمد ، أو فنزهه عما يقولون حامداً له على أن هداك للحق ، ولما سئل عن أفضل الكلام قال: (ما اصطفى الله لِمَلَأَتْكَتِه ، أَوْ لِعِبَادِهِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ) .
وأيضاً (وكن من الساجدين) أي من المصلين ، أو صاحب صلاة وابتهاال ، فإنك إذا فعلت ذلك ، كشف الله همك ، وشرح صدرك ...!

- وفي السنة الصحيحة : (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ) . وقوله عليه الصلاة والسلام : (قَالَ اللَّهُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، لَا تَعْجِزْ عَنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَكْفِكَ آخِرَهُ) .

- فدواء ما ينالنا من ضيق وغم ، هو ذكرٌ وتسبيح، وصلاة وثبات، حتى ينزل اليقين وهو الموت.. (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) وهو الحقُّ القاصم لجميع البشرية مؤمنهم وكافرهم، وسيُحاسبون على كل ما قدموا في حياتهم الدنيا ، والله المستعان .



١٨ / وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا..!

وهذه آيةٌ مورثةٌ لليقين والانتصار ، وأنَّ هذه الأمةٌ مرحومةٌ منصورَةٌ، وقد يكون من صور نصرها ، دحضُ عدوهم بلا قتال، وإشغالهم بأنفسهم ، كما حصل في الأحزاب في السيرة.. (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا) سورة الأحزاب .
والمعنى أن الله ردهم بغیظهم، ولم يشف صدورهم، ولا نالوا خيراً في اعتقادهم الظفر بالمسلمين، أو قتل قادتهم ، أو لم ينالوا خيراً أي خيراً، بل رجعوا خاسرين لم يربحوا إلا عناء السفر، وغرم النفقة، والريح التي زلزلت متاعهم .



• ثم قال سبحانه مبيناً قدرته وحكمه في ختم المعركة بلا أذيات : (وكفى الله المؤمنين القتال) بما أرسله من الريح العاصفة بهم، والجنود المروعة من الملائكة (وكان الله قوياً) على كل ما يريدُه إذا قال له: كن فيكون (عزيزاً) قاهراً غالباً لا يغالبه أحد من خلقه، ولا يعارضه معارض في سلطانه وجبروته.

• وقد كان جاء الأحزاب بجيوشهم وأحقادهم سنة (٥) من الهجرة، وحاصروا المدينة، فثبت أهل الإيمان، ومكث حصارهم قرابة شهر، ثم سلط الله عليهم جنده من الريح والملائكة، وقذف في قلوبهم الرعب والسامة، حتى ضاقوا بالبقاء، وولوا مدبرين، وقال صلى الله عليه وسلم حين

انصرفهم : (الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم) .

والله الموفق .



١٩ / وَكُلَّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ..!

تهزك هذه الآية هزاً ، وأنت تسمعها من المشايخ ، وهي من آيات الإعجاز العلمي في القرآن ، والذي ينبغي علينا في هذه الأزمنة العنايةُ به، ونشره في الآفاق بضوابطه العلمية المتفقة مع الشريعة ، والسياق القرآني السليم ، فلما ذكر الله حركة الليل والنهار وانسلاخ أحدهما من الآخر ، وجريان الشمس والقمر .. عقب بقوله تعالى : (وَكُلَّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) سورة يس .



- ومن الأخطاء في تدبر القرآن وتدرسه إهمال نصوص الإعجاز العلمي ، برغم اتساعها ، وأثرها البالغ عالمياً على هداية الأمم الأخرى .

• والفلك كما يقول العلماء : مجرى الكواكب، وتسميته بذلك لكونه كالفلك. وقالوا : إن لكل جرم سماوي مجاله، أو مداره الخاص الذي قدره الله له، وأجرام السماء كلها لا تعرف السكون، كما أنها تتحرك في مسارات خاصة لا تحيد عنها هذه الأفلاك . وعلم الفلك عُرف عند العرب باسم "علم الهيئة" لأنه ارتبط بدراسة تركيب الأفلاك وأحوال الأجرام السماوية وأشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعادها.

• وقال تعالى: (يسبحون) ولم يقل : يدورون ، لأن الشمس والقمر والأرض والنجوم والكواكب والمجرات والغبار والغاز الكوني ، جميعها تتحرك حركة اهتزازية مركبة أشبه

ما يكون بجسم يطفو على سطح الماء ، وتحركه الأمواج
حركة تعرجية. والغرض من الآية: بيان قدرة الله في تسيير
هذا الكون بنظام دقيق، فالشمس لها مدار، والقمر له مدار،
وكل كوكب من الكواكب له مدار لا يتجاوزه في جريانه أو
دورانه .

- ومثل ذلك يزيدُ العبد إيماناً بخالقه وقدرته العجيبة ، وأن
العلم الحديث ليؤيد كثيراً من هذه الآيات ، ولا يستطيع
مناقضتها، والحمد لله على فضله وتوفيقه .



٢٠/ فقولا له قولاً لينا..!

حينما تسمعها وتستحضر أحوالنا في الحياة ، وتعاملاتنا،
وخلافاتنا، تلقاها متباينة ، من جراء تغييب القول اللين،
والتخاطب بشدة، وتقديم السخرية على الخلق، والغمز في
النصيحة ، والتهجم في النقد. ومن ثمّ تضاعفت الإحن
والمشكلات، وصرنا لا يطيقُ بعضنا بعضا ... (فقولا له قولاً لينا
لعله يتذكر أو يخشى) سورة طه . هذا كان عماد نصيحة موسى
وهارون للطاغية فرعون ، وتوجيه المولى تعالى لهم ..!



- وأثره في الناس عظيمٌ محسوس، وما قُدمت الدعوة
والنصائح في شكل من اللين والرافة ، إلا أثمرت الغراس
اليانعة، والأفنان الباسقة . لأنه قول سهلٌ رقيق لطيف، خالٍ

من الشدة ، متباعدٌ عن العنف، مداده من الرحمة وحسن
الخلق، وفي الحديث : (وخالقِ الناسَ بخلقِ حسنٍ)..!
وفسّر بعض السلف القول اللين بالكنية للكافر ، وهي من
حُسن التخاطب معهم .

● وهل يمكن لدعوة أن تنجح وتصيب أهدافها إذا سارت
بالعنف والشدة .. حتما سينفر الناس، وسنكون سببا في
بغضهم شرائع الله، لانعدام الحكمة الدعوية (ادع إلى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) سورة النحل .

● وسيرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العملية تشعُّ بمحاسن
الأخلاق، التي كانت سببا في انتشار دعوته، وخطفه قلوبَ
الناس ، وكما مدحه ربه : (وإنك لعلی خلق عظیم).

فتلاينوا مع الناس، عصاتهم ومذنبهم، وصغارهم
وكبارهم، واملأوا أفواهكم مودةً ورحمة، ورفقاً وإشفاقاً،
والسلام...!



٢١ / يَوَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا

تأسفٌ شديد، وألمٌ داخلي ينتابُ ذلك الذي ضيَّع صداقته ،
وشوّه مجالسه، وبدّد ساعته بمعاشرته من لا يصلحُ للتبسط،
والأنس بمن قد ضلَّ الطريق، وأساء النظرة، وخالفَ الشريعة ،
قال تعالى: (يَوَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ
الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا) سورة
الفرقان: ٢٩ . وفي الحديث الصحيح: (المرءُ على دين
خليله...) .



- فالخيلُ السيئُ ، والصداقةُ المعوجة، تودي بصاحبها إلى
الانحراف، واستحسانِ الشهوات، والزهد في الخيرات ،
وقسوة القلب، وضعف الانتفاع بالمواعظ وغيرها ..

ولذلك يندم الظالم المقترف يوم القيامة على سوء ماضيه
(ويوم يعرض الظالم على يديه، يقول يا ليتني اتخذت مع
الرسول سبيلاً ..). وهي وإن كانت نازلةً في بعض
المشركين، إلا أنها عامة ، لأن العبرة بعموم اللفظ، لا
بخصوص السبب.

● والفقهُ هنا تخير الأصدقاء ، والتماسُ الخلانِ النبلاء ، الذين
تزداد بهم إيماناً ونوراً وصلاحاً ، ويروى حديثُ : (لا
تصاحبُ إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقي).

● فاحذر أخي المسلم مصادقة الفساق والجهال ، وأصحاب
البدعة، والشهوانيين أرباب الدنيا...! قال علي رضي الله

عنه :

فلا تصحب أبا الجهل ** وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى ** حليما حين آخاه
يُقاسُ المرء بالمرء ** إذا ما المرء ماشاه
وللشيء على الشيء ** مقاييسٌ وأشباه
وللقب على القلب ** دليل حين يلقاه

والله الموفق ..



٢٢/ قالت يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم..!

تُليت عليهم بصوتٍ رخيماً مؤثراً ، فاندھش من نملة متفاعلة

إيجابية ، حريصةً على قومها ومجتمعها ، وقارنها ببعض

المسلمين ، متكاسلين ، يعيشون السلبية في أكثر الأحوال ..

(حَتَّىٰ إِذَا اتَّوَا عَلٰى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا

مَسٰكِنِكُمْ لَّا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمٰنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَّا يَشْعُرُونَ)

سورة النمل .



• وتلطفت مع النبي سليمان عليه السلام وجنوده وعظمة

سلطانه، واعتذرت عنهم أنهم إن حطموكم فليس عن قصد

منهم ولا شعور، فسمع سليمان عليه الصلاة والسلام قولها
وفهمه، واندھش من قولها وحرصها .

- ونتعلمُ هنا أهمية السلوك الطيب التراحمي تجاه أهلنا
وجماعتنا ، ولطف النصيحة ، وأن المؤمن الصالح ، صالحٌ
في قوله وانتمائه وشعوره بواجب الحماية والتأمين
المجتمعي ، وفي الحديث : (مثلُ المؤمنين في توادهم
وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد ..) وهي خصالٌ ثلاث
توجب الإحساسَ والتوحد والتعاون، وليس الشذوذ
والتفكك، وترك ثغرات لكل خطر واختراق !..

- قال العلامة ابن القيم رحمه الله: " ويكفي في هداية النمل ما
حكاه الله سبحانه في القرآن عن النملة التي سمع سليمان

كلامها وخطابها لأصحابها بقولها: (يا أيُّها النَّملُ ادْخُلُوا
مَسَاكِنَكُمْ) فاستفتحت خطابها بالنداء الذي يسمعه من
خاطبته ، ثم أتت بالاسم المبهم ، ثم أتبعته بما يثبت من اسم
الجنس إرادة للعموم ، ثم أمرتهم بأن يدخلوا مساكنهم ،
فيتحصنون من العسكر ، ثم أخبرت عن سبب هذا الدخول
وهو خشية أن يصيبهم معرفة الجيش فيحطمهم سليمان
وجنوده ، ثم اعتذرت عن نبي الله وجنوده بأنهم لا يشعرون
بذلك وهذا من أعجب الهداية ". والله الموفق .



٢٣/ أن امشوا واصبروا على آلهتكم..! □

تتعجبُ قطعاً من تحزبِ الكفار واجتماعِهم على مبادئهم

الباطلة ، مشياً وصبراً وتفانياً ، ولو كان ذلك سيرديهم ، كما قال

تعالى عن مشركي مكة وموقفهم من الإسلام والدعوة الجديدة..

(وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا

لَشَيْءٌ يُرَادُ * . سورة ص : ٦ .



• يتواصلون بالثبات على أصنامهم ، ويذكرون بني قومهم ،

بعدم النكوص لمحمد ودعوته ، فهو يريد النيل منا

واستدلالنا بمنهجه ، بحيث نكون تبعاً له.. (إن هذا لشيء

يُرَادُ). ومن المؤسف أن قد تشاهدُ تضعفَ المؤمنين ،

وتنازعهم، وقيام كل امرئ على ذاته ، ولم تعلمهم أخلاقهم
ولا التجارب .

• وتعلم هنا قوة أهل الباطل وجلدهم، وحرصهم على دينهم،
والأولى بذلك أهل الحق والهدى ، لأنهم المؤمنون
المستثيرون، والموعودون بالنصر والثواب ، وحسن
العاقبة..!

• ولذلك وجب تناصرهم وتصابرهم ، وتثبيت بعضهم بعضاً،
وفي الحديث المشهور : (الدينُ النصيحة) وكررها ثلاثاً ،
والسلام .



٢٤ / أمرنا مترفيها ففسقوا فيها..!

إنما تهلكُ الأممُ والمجتمعاتُ باستبكارهم عن طريق الحق،
وإيثارهم السيئات على الحسنات ، ومحبتهم اللهو على الهدى ،
واستبدالهم الذي هو أخطَّ وأدنى ، بالذي هو خير وأطيب ، كما
قال سبحانه : (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
فَحَقَّ عَلَيْهَا آلُ قَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ سورة الإسراء : ١٦ . فقد
أمرهم المولى بالطاعات ، فمارسوا الفواحش والموبقات ،
فوقع القول والعذاب عليهم ، فدمروا تدميراً لا هوادة فيه ، والله
المستعان .



- أو يكون المعنى : صيرناهم أمراء على قراءة التشديد (أمرنا)
فُعلت الفواحش والشرور، واستبيحت المناكر، فوقعت
عليهم كلمة العذاب، وهم لا ينصرون ، ولم تغن عنهم
قوتهم ولا أموالهم شيئاً من الله .
- والمراد بالمترفين المنعمين الذين قد أبطرتهم النعمة وسعة
العيش، من القادة الجبارين والأمراء المتسلطين الذين
تلاعبوا بالشريعة ، وسوَّغوا المنكرات أو فرضوها
فرضاً، وإنما خُصوا بالذكر لأن من عداهم أتباع لهم،
ويدخلون في جنابهم أنظمتهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ،
كما قال تعالى : (وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا
فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا) سورة الأحزاب. زينوا لهم المبطلات

واعتقدوا أنهم على شيء، فإذا هم في ضلال وإفلاس، والله

المستعان .



٢٥ / حملته أمه كرها ووضعته كرها..!

هل تصورت ذلك الكُره ، وعاد بك الزمان إلى الماضي ،
وتذكرت حملك، وكيف جئت إلى الدنيا، ثم إنك لتتحول إلى
خصيم مبین ، وشقيٍّ مريد في التعامل مع والديك ، لا سيما الأم
المشفقة الحنون ..! قال تعالى : (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ
إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ...) سورة
الأحقاف : ٤٦ .



- فأوصاه بوالديه، ثم ذكر سبب ذلك من جهة الأم... حَمَلَتْهُ
أُمُّهُ كُرْهًا أَي: قَاسَتْ بِسَبَبِ حَمَلِهِ مَشَقَّةً وَتَعَبًا، مِنْ وَحَامٍ
وَغَشْيَانٍ وَثِقَلٍ وَكُرْبٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَصَابُ بِهِ الْحَوَامِلُ
مِنَ التَّعَبِ وَالْمَشَقَّةِ، ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أَي: بِمَشَقَّةٍ أَيْضًا مِنْ

الطَّلَقِ وَشِدَّتِهِ، وصعوبة خروجه ، ثم تقوم على رضاعته
وحضانتة ، حتى يشب فإذا هو ظلوم كفور..!

● ونظير ذلك في سورة لقمان : (حملته أمه وهناً على وهن)

أي جهداً على جهد ، وفي ذلك دليل على عِظَمِ حق الأم ،
وأنه يفوق الأب بمراحل ، فقد حملها الله أمانةً عظيمة وهي

الأمومة ، وحقها البر والعطف ، ورد الجميل بعد ذلك ..!

● وكلما غرّتك نفسك ، وشمّخت دنياك ، تذكر الكُرهَ والوهن ،

والشدائد اللواتي مرّت بها أمهاتنا ، حتى بلغنا هذه الحياة ،

فإلى الله المشتكى في تقصيرنا وجفوتنا ، اللهم اغفر لنا

وتجاوز عن سيئاتنا ، ووفقنا لبرهم وحسن مرضاتك ، إنك

جواد كريم .



٢٦- وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ..!

نعمة عظيمة أن يصحو قلبك، وترق مشاعرك، فتنهمر مدامعك
لله تعالى، من عظمة ما سمعت، وما تفكرت وتدبرت، كما
وصف الله بعض المؤمنين: (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ
تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا
ءَاَمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) سورة المائدة .



- والتعبيرُ بفيض الدمع يدل على الامتلاء، وعظم التأثير بالحق
المتلو، وقد قيل إنها نزلت في النجاشي رحمه الله وصحبه
لما تلا عليهم الصحابة القرآن، وقيل بل نزلت في جماعات
من النصارى سمعوا القرآن فتأثروا به تأثراً شديداً .

• والمقصود أن عظمة الآيات ، وروعة المواعظ تحمل
المستمع على البكاء والتأثر.. فكيف لا تخشع القلوب ، ولا
تدمع العيون.! فإما أن قلوبنا قاسية ، أو اجتاحتنا الغفلة، أو
لا نعي القرآن، والقلوب منصرفة إلى شيء آخر ، والله
المستعان .

• وللتخلص من ذلك : التوبة الصادقة، وتجديد الصلة
بالقرآن، وكثرة التأمل والتدبر، ونبد الغفلات ، والإقبال على
الكتاب بمصداقية عالية، وتطهير القلب من كل لوثة وتعلق
دنيوي، والله الموفق .



٢٧- وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ..!

أول ما سمعها تعجب من التعبير القرآني ، خطوات ، وكأنها مسافات قصيرة جذابة .. فعلم أن الشيطان يستدرج بخطوات وهمسات وحبائل غير فجأة ابتداءً ، حتى يوقعك في المحذور ، وينزلك في الباطل ، فتجاسر على الكبائر ولا تبالي ، وتتعاطى الموبقات وأنت لا تشعر.. (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) سورة البقرة : ٢٠٨ . والخطوة هي ما بين القدمين ، والجمع خُطًا وخُطُوات . والخطوة بالفتح : المرّة . والجمع خَطَوَات .



- فالمعاصي تبدأ بخطوات يسيرة، ومسافات محدودة، قد تكون من المباحات، فيتوسع المرء فيها وفي الشهوات، حتى يستلذ ذلك، فتصل عليه الطلعات، ويزين له أهل الباطل ذلك، فيغتر اغتراراً شديداً، فتقع منه المعصية كل موقع، والله المستعان.
- فالنظرات المحرمات يستسهلها بعضنا، والتوسع في الأطعمة كذلك، ومزاح اللسان ولغو، حتى يجرك لما بعده، فتنتهي إلى ما لا يحمد عقباه.
- فتخوف من خطوة في الباطل، أو همسة في الشهوات، أو صبوة مستسهل فيها، فإن لها ما وراءها.. (ولا تتبعوا خطوات الشيطان).

- وحتى صغائر الذنوب التي قد يحتقرها كثير منا، حذر منها صلى الله عليه وسلم فقال: (يا عائشة إِيَّاكَ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ ؛ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ طَالِبًا). وفي رواية في المسند: (إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ ؛ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكَنَّهُ). وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلًا، كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاقَةٍ، فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ فَيَجِيءُ بِالْعُودِ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ، حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا، فَأَجَّجُوا نَارًا، وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا. والحديث صحيح والله تعالى أعلم.



٢٨ / إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..!

دائماً لتكن دعوى الإيمان عندنا مقرونةً بالعمل، وفعل الخيرات،

حتى تنجوا من الخسران، وتسلم الهلاك، وتكون في صفوف

الفائزين...! فيقسمُ الله في سورة مشهورة (والعصر إن الإنسان

لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ..) فكلُّ بني في

آدمٍ في خسار وشقاوة، سوى المؤمنين العاملين ..!



• فلا ينفعُ إسلامٌ بلا طاعات، ولا يجزي إيمان بلا قربات،

وإلا كنا كذبةً متكاسلين، ومنافقين أدياء، لأنَّ الدينَ قولٌ

وعمل واعتقاد. وفي فضلِ هذه السورة قال الإمامُ الشافعي

رحمه اللهُ: (لو تدبرَ الناسُ هذه السورة لكفّتهم).

• وزد على هاتين الفضيلتين، خصلتين عظيمتين أيضا : وهما التواصي بالحق، من أوامر وشرائع، والتواصي بالصبر، احتمالا للطريق، وصبرا على التكاليف، وإعانةً لبعضنا بعضا (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) وذلك مما يقوي الوحدة والتعاون بين المجتمع المسلم .

• ومن التواصي بالحق، الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضاً بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه، مبينا محاسنه. ويتواصون بالصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة. فبالأمرين الأولين، يكمل الإنسان نفسه، وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة،

يكون الإنسان قد سلم من الخسار، وفاز بالربح العظيم،
والنعيم المقيم .



٢٩ / أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا □

فعلًا نظرنا قليلًا في السموات وسائر مخلوقات الله، وتأملاتنا محدودةٌ وأحيانًا منسية ، وهي من أبواب الإيمان وزيادته ، وتحقيق العبودية ... (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ) سورة ق : ٦ . فلماذا نظرنا يشح في هذا الآيات، وغالبا نظرنا عند أقدامنا ، وفي دنيانا، وفي شؤونا ، وقلما ننظرُ للأعالي ، ونتأمل في جمال الإبداع الإلهي (بديع السموات والأرض) .



والسَّمَاءُ فَوْقَنَا كَالسَّقْفِ الْمَحْفُوظِ ، فِي عُلُوِّ مَبْهَجٍ جَمِيلٍ يَشَاهِدُونَهَا كُلَّ وَقْتٍ (كَيْفَ بَنَيْنَاهَا) أَي أَوْجَدْنَاهُ وَجَعَلْنَاهَا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ الْبَدِيعَةِ ، مَرْفُوعَةً كَالخَيْمَةِ ، إِلَّا إِنَّهَا

بغير عماد تعتمد عليه ، (وزيناها) بما جعلنا فيها من المصابيح
والنيرات والكواكب (وما لها من فُروج) أي فتوق وصدوع
تعيبها، وهو جمع فرج، فتطالعها بلا تفاوت ولا اختلاف ولا
فتوق ، قد بدت زرقاء جميلةً، وعالية بلا عمدٍ ظاهرة ، فكيف لا
يورثُ ذلك الإيمان بالواحد الأحد، وهي معكم وتعلوكم في كل
لحظة ، وقد جملها الله بالكواكب والعلامات ...؟!!

ثم عدد شيئاً من الآيات الدالة على قدرته تعالى .. وَالْأَرْضَ
مَدَدْنَاهَا أَي بَسَطْنَاهَا عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾
جِبَالًا ثَوَابِتَ، ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ حَسَنِ كَرِيمٍ
يُبْهِجُ بِهِ، أَي: يَسُرُّ، ويفرحك ، ﴿تَبْصِرَةً﴾ أَي جَعَلْنَا ذَلِكَ تَبْصِرَةً

﴿وَذِكْرِي﴾ أَي تَبْصِيرًا وَتَذْكِيرًا، ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ أَي: لِيُبْصِرَ

بِهِ وَيَتَذَكَّرَ بِهِ، وَيَدْرِكُ عِظْمَةَ خَالِقِهِ، وَاسْتِحْقَاقَهُ لِلْعِبَادَةِ .

فَلَا تُغْفَلُوا عِبَادَ اللَّهِ مِثْلَ هَذِهِ الْآيَاتِ ، وَعِشُوا هِدَايَتَهَا وَجَمَالَهَا ،

وَرَبُّوا أَبْنَاءَكُمْ عَلَى عِظْمَةِ الْخَالِقِ، وَوَجُوبِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَاللَّهُ

الموفق .



٣٠/ أمن يجيب المضطر إذا دعاه.. □

- تُليت على آذاننا ، فتفكر فيها، وأيقن أن الدنيا بأنكادها فيها مبتلون ومضطرون، وفيها فقراء وتعساء، ودواؤها في حياة المؤمنين ، الدعاء والصلاة، والتوبة والإحسان. وكم من شكاوى مسموعة في هذه الحياة ، وقد يقصر أصحابها في تحقيق مفاتيحها .. (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) سورة النمل .

- ولذلك لا حلَّ للمضطر ، وهو الشخص الذي انقطعت به الأسباب، وسُدَّت عليه السبل، وقيل : هو الذي عراه ضرٌّ من فقر، أو مرض، أو نازلة من نوازل الدهر، فألجأه إلى التضرع

إلى الله..، ليس له حل مثل الدعاء والانطراح بين يدي الحي
القيوم، وعرض حاجته ومظلّمته.

- والدُّعَاءُ مِنْ أَنْفَعِ الْأَدْوِيَةِ، وَهُوَ عَدُوُّ الْبَلَاءِ، يَدْفَعُهُ، وَيُعَالِجُهُ،
وَيَمْنَعُ نُزُولَهُ، وَيَرْفَعُهُ، أَوْ يُخَفِّفُهُ إِذَا نَزَلَ، وَهُوَ سِلَاحُ
الْمُؤْمِنِ. وَهُمَا يَجِيبُ اللَّهُ دَعَاءَ الْمَضْطَّرِّ الصَّادِقِ، وَيَكْشِفُ
السُّوءَ، وَيَجْعَلُكُمْ خَلَفَاءَ الْأَرْضِ، فَهَلْ ثَمَّةٌ إِلَهٌ يَفْعَلُ
ذَلِكَ... (أَيْ لَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) ﴿النمل ٦٢﴾.

- ومن أحسنِ الأدعيةِ في هذا الباب أدعيةُ الكربِ الصحيحةِ،
يصدقُ العبدُ فيها، ويتحرى بها ساعاتِ الإجابةِ المعروفةِ،
وستنفرجُ كربته بإذنِ الله عز وجل . وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ
حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ

يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ،
وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ). ومنها دعوة يونس
عليه السلام: قَالَ: (دَعْوَةُ ذِي النُّونِ، إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ
الْحُوتِ) ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾
[الأنبياء: ٨٧] إِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ
اللَّهُ لَهُ وَغَيْرَهَا . والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .



تم كتاب (قرأ الإمام.. وفي القراءة متعة) بحمد الله
وتوفيقه، اللهم انفعنا بكتابك، واجعلنا من أهله وخاصته
، إنك جواد كريم .

